جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان - قسم التاريخ

أستاذ المادة: د/ سمير مزرعي السنة الثانية ليسانس

الدولة الفاطمية (296-362/909-973)

تمهيد: كانت اليمن قاعدة للدعوة الشيعة الإسماعيلية وذلك لبعدها عن مركز الخلافة العباسية باعتبارها تتوفر على شروط الأمان لبدأ الدعوة وحشد الأتباع فقد تسلم القيادة في اليمن رجل يدعى (إبن حوشب) الذي استطاع أن يستقطب بعض الفرس المعادين للمسلمين، ورأى في أرض المغرب خصبة لزرع البذور الشيعية، فأرسل من اليمن رجلين هما (أبو سفيان والحلواني) إلى طرابلس وتونس لنشر المذهب الشيعي، واستطاعوا أن يتوغلوا بأفكارهم في المناطق التي كانت تسكنها القبائل البرنسية المسماة بـ (كتامة) التي كانت تستوطن المناطق الجبلية الوعرة المتاخمة لبلاد الدولة العباسية من ناحية الغرب (غرب نهر الشلف)، وكانت هذه القبيلة من بين أكثر القبائل التي كانت تتطلع إلى إقامة دولة مستقلة في المغرب شأن دولة الأدارسة في المغرب الأقصى، والأغالبة في المغرب الأدنى.

1- إختيار أبو عبد الله الشيعي(288-297هـ/901-910م):

وقع إختيار إبن حوشب على أبي عبد الله الشيعي من أهل صنعاء لما لمسه فيه من صفات قيادية بارزة وعلم وذكاء ومقدرة في التعامل مع الناس، ويعتبر هو المؤسس الفعلي لدولة العبيديين الإسماعيلية في المغرب، فأرسله إبن حوشب بعد موت الحلواني وأبي سفيان وقال له:" إن أرض كتامة في بلاد المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان، وقد ماتا وليس لك غيرها فبادر فإنها موطأة ممهدة لك"، وما بين 288هـ و 289هـ اتجه هذا الرجل إلى الحجاز في موسم الحج أين تعرف على قبائل كتامة وتقرب منهم، وبعد انتهاء موسم الحج توجه معهم إلى بلاد المغرب، غير أنه في حقيقة الأمر كان يعرف تمام المعرفة أن محطته الثانية ستكون في (إيكجان) وهي بلدة في جبل وعر تسكنها (سكتاتة) وهي بطن من بطون كتامة.

لقد نهج أبو عبد الله الشيعي نهج المعلم الصالح، فسلك سلك العفاف والطهر والديانة وأخذ في تعليم الناس وتثقيفهم ونشر أفكار المذهب الشيعي، وبسبب الظلم الذي عرف عن الأغالبة أصبح يهاجمهم ويفضح ممارساتهم، وتذكير الكتامين بأنهم من العلويين وفضلهم وأحقيتهم في الحكم، وبعد كسب تأييد أنصاره حزم أبو عبد الله الشيعي أمره وانتقل إلى قاعدة وسط جبال الأوراس إلى منطقة تسمى (تازروت) حيث عمل على فرض جباية قليلة هي أشبه بالتبرع للحركة، وجعل صرف هذا المال بأيدي شيوخ من كتامة فلا يصرف إلا بإذنهم، وانتهز الحالة السياسية المتأزمة التي كانت تمر بها الدولة الأغلبية حيث استطاع بمن معه الإستيلاء على أهم النقاط الحربية في جبال الأوراس إلى غاية سنة 296هـ/909م حيث استولى على القيروان وطرد زيادة الله االثالث.

كان الوقت قد حان في نظر أبي عبد الله الشيعي للجهر بدعوته، حيث أعلن أن الإمام الحقيقي للمسلمين هو عبيد الله المهدي وأنه قريبا سوف يصل إلى بلاد المغرب ويظهر العدل والمساواة، وبهذا انضم إليه بعض قواد الدولة الأغلبية، وكون بذلك جيشا يدافع به عن المذهب الشيعي والدولة الجديدة، كما حاول نشر مذهبه عن طريق الدعاية والمناظرة لإقناع علماء السنة والجماعة، وبعد أن أقاموا عليه الحجة اضطر إلى استعمال القوة لقمع علماء السنة، فمارس عليهم أصناف التعذيب والضرب بالسياط وقطع الألسن وضرب الرؤوس وغيرها.

بعد النجاح الباهر الذي حققه أبو عبد الله الشيعي في دعوته، أرسل إلى "عبيد الله المهدي" الذي كان مقيما في (سلمية) للقدوم إلى بلاد المغرب الإسلامي، فلما وصل إلى مصر أدرك بأنه متابع من قبل عيون العباسيين، وبمساعدة والي مصر استطاع عبيد الله المهدي الخروج من الفسطاط متجها إلى طرابلس متنكرا في زي التجار، وخوفا من بطش حكام الأغالبة قرر تغيير وجهته إلى سجلماسة مستعينا بالأموال التي أعطاها له عامل مصر. ظل عبيد الله في بداية الأمر طليقا في سجلماسة بسبب إغداقه الأموال على واليها اليسع بن مدرار

من جهة، وكونه كان خارجيا صفريا من جهة أخرى، لكن بعض إنتصار عبد الله الشيعي على الأغالبة سنة 296هـ/909م خشي صاحب سجلماسة وقام بسجن عبيد الله المهدي وأتباعه، ولما علم عبد الله الشيعي بذلك سار بقوة كبيرة إلى سجلماسة لإطلاق صراح عبيد الله المهدي.

2- خلافة عبيد الله المهدي (297-322هـ/910-934م):

بعد تخليص عبيد الله المهدي من سجن سجلماسة تمت مبايعته، وسلم إليه الأمر من قبل عبد الله الشيعي وسار بين يديه يحترمه، وفي طريق العودة بالجيش إلى تاهرت أزال إمامة الرستميين سنة 297هـ/ 910م، وجعل المغرب الأوسط إلى غاية تلمسان جزء من الدولة الفاطمية، ولما وصل إلى القيروان بويع بيعة عامة، وبذلك انتهت ولاية عبد الله الشيعي التي دامة عشرة سنوات (288-389هـ/901-999م)، لكن سرعان ما تغيرت أحوال الكتاميين تجاه عبيد الله المهدي بعد أن تبدلت سيرته واستولى على الأموال التي جمعوها في إيكجان، ويتصرف في الأموال كما يشاء، فشكك الكتاميون في أصالته ومستوى تفكيره، وما يجعلهم ينقلبون عليه حقا هو إقدام عبيد الله المهدي على قتل أبي عبد الله الشيعي وأخيه العباس كونهما كان ذا وزن في المجتمع الكتامي بعدما أفصحا عن تذمرهما كذلك من سياسة عبيد الله المهدي.

أحس عبيد الله المهدي أن إفريقة ضاقت به ذرعا ولم تعد له قاعدة شعبية فيها، ولذلك كان عليه التوجه إلى تأسيس مدينة وعاصمة خاصة به، فقد تطلع إلى الاستعانة بغيرهم لتشييد قلعة يعتصم فيها هو وأسرته وجنده وحشمه وأمواله، فعمل على بناء المهدية سنة 305هـ/917م التي ما زالت آثارها باقية إلى اليوم، وهي عبارة عن حصن منيع يقوم على رأس بارز في الساحل الشرقي لتونس، ولا يوصل إليه من البر إلا عن طريق مدخل ضيق، وهو محاط بسور عال مستدير الزوايا، وبين السور والبحر قطعة من الأرض أقيمت فيها دار صناعة السفن ومخازت البحرية، كما جعل عبيد الله المهدي العمال والسوقة يعيشون خارج البلد في موضع يسمى (زويلة)، فلا يكونون في البلد إلا نهارا فإذا هبط الليل رجعوا إلى مدينتهم.

لقد عمل عبيد الله المهدي على توسيع سلطانه مستعينا بزعماء قبائل أخرى، فقد أغرى مصالة بن حبوس زعيم قبائل صنهاجة في المغرب الأوسط بالمال، وبعثه في جيش كبير غازيا المغرب الأوسط والأقصى، فعمل على ضم قبائل زناتة وبني خزر المغراويين في المغرب الأوسط، ودخل المغرب الأقصى التي كانت تحت حمك الأدارسة، فولى عليها رجلا من أقاربه يسمى (موسى بن أبي العافية) الذي أذن للأدارسة بالبقاء في فاس تحت الطاعة الفاطمية.

3- غزو مصر والإنتقال إليها:

أدرك عبيد الله المهدي أن مستقبل دولته لن يكون في بلاد المغرب الإسلامي، بحيث أنه لم يكسب أنصارا له كأبي عبد الله الشيعي، ولذلك توجه بنظره إلى مصر وقرر الإستيلاء عليها، فعث حملة بقيادة ابنه القائم، الذي استولى على الإسكندرية وخرب بعض نواحيها، غير أنها لم تعد بنتيجة ولم تتحقق رغبة عبيد الله المهدي، وبعد وفاة القائم وتولية ابنه المنصور أبو طاهر(334-341هـ/946-953م) انفجرت في عهده ثورة (أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفريني) المعروفة في كتب التاريخ بـ (ثورة صاحب الحمار) الذي ناصره الخوارج الصفرية من بربر إفريقية الناقمين على حكم الدولة الفاطمية، وقبائل زناتة التي كانت تخشى على سلطانها من المد والتوسع الفاطمي، غير أن ثورته لم تدم طويلا إذ سرعان ما أرسل المنصور (بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي) لمواجهته ولقي مصرعه بعد ذلك سنة 336هـ/948م وأركبوه دابة وطافوا بجثته.

يجمع المؤرخون على أن المعز لدين الله الفاطمي (341-365هـ/953-975م) كان أقدر الخلفاء الفاطميين وأبعدهم نظرا، فقد رأى أنه لن يستطيع الإستمرار في المغرب، لانه آل بلكين بن زيري الصنهاجيين كانوا أصحاب القوة والنفوذ فيها، كما أن القبائل التي استوطنت بلاد المغرب فقدت ثقتها في الدعوة الفاطمية الشيعية، ولهذا توجهت أنظاره نحو مصر لتجسيد ما عجز عنه الحكام السابقين، وقد ظهر على مسرح الأحداث التاريخية شخص مهم هو (جوهر الصقلي) الذي لعب دوار حاسما في استغلال ضعف الدولة الإخشيدية ووفاة حاكمها المحنك (كافور الإخشيدي)، وبعد مصالحة قبائل كتامة ودخول زعيمهم (جعفر بن فلاح) الذي أصبح أحد قواده، فقد مكن جوهر

الفاطميين من الدخول إلى الإسكندية سنة 362هـ/973م، وبهذا نجد أن المعز لدين الله الفاطمي أعلن في بيان رسمي تخليه عن فرض المذهب الشيعي على أهل مصر وأحسن معاملتهم، فقد دخلت مصر بذلك عهدا جديدا بحيث تخلوا عن المذهبية كأساس لتكوين دولتهم، وأصبح إختيار المذاهب أمرا مقبولا ومتعاملا به، وفي نفس الوقت نرى بأن جوهر الصقلي وضع أساس مدينة القاهرة، لتكون مدينة ملوكية وحصنا للفاطميين، لكي ينتقلوا من قلعة المهدية إلى قلعة القاهرة.

خلاصة: لقد دامت خلافة الفاطميين في المغرب قرابة ستين سنة من (297-362هـ/909-973م)، بحيث دانت لهم بلاد شاسعة امتدت من طرابلس إلى منتصف المغرب الأوسط، فلم يخرج عنه سلطانهم إلى منطقة تلمسان، ودخلت في خدمتهم قبائل مغربية غفيرة، بالإضافة إلى أن ملكهم شمل أيضا إفريقية ومصر فيما بعد، وإذا أصفنا إلى هذه الأقاليم صقلية، تبين لنا أن الفاطميين بسطوا سلطانهم وملكهم على إطار جغرافي شاسع جدا.

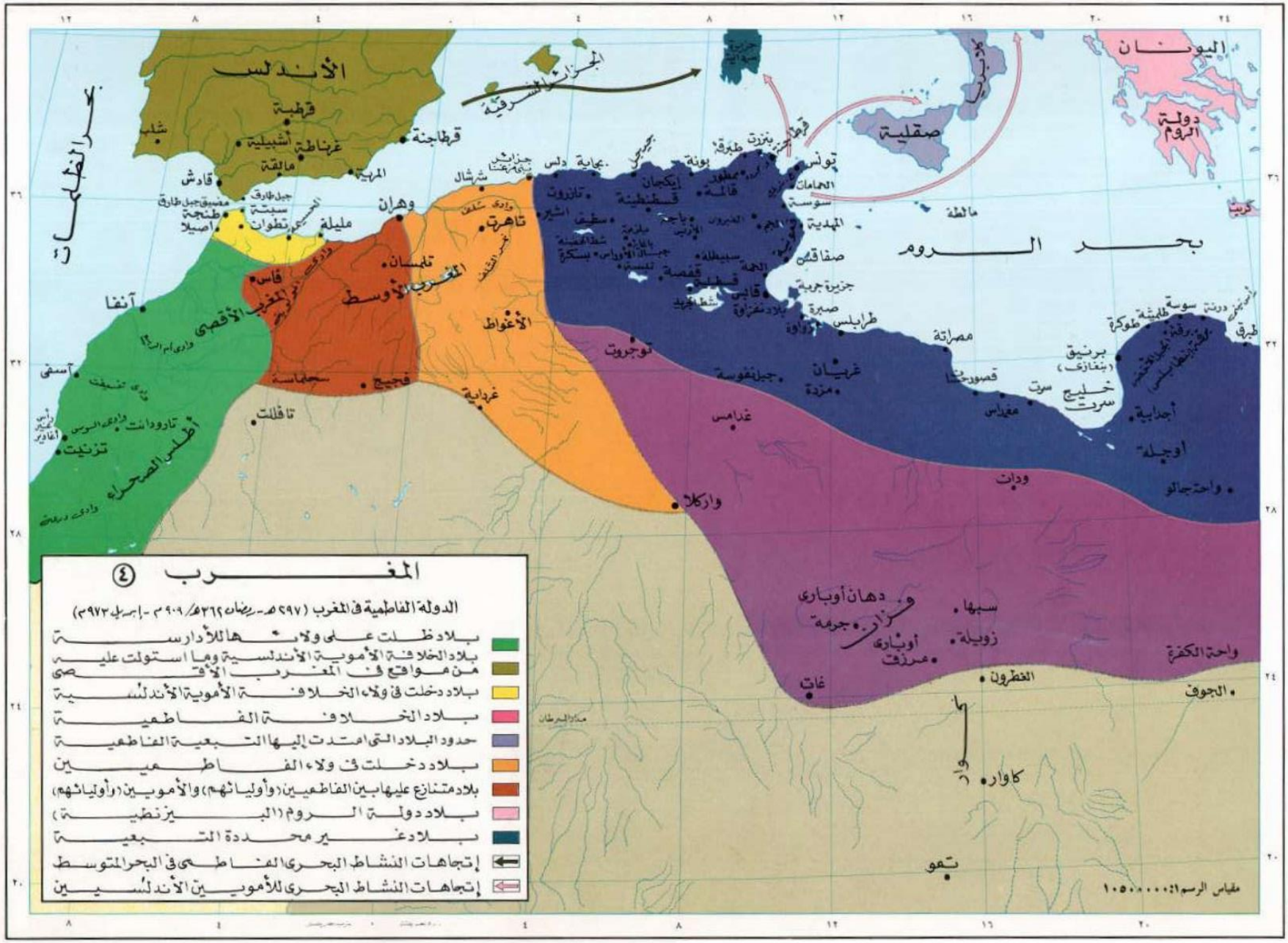
المغرب ④
الدولة الفاطمية فى المغرب (٢٩٧هـ - رمضان ٣٦٢هـ/ ٩٠٩م - إبريل ٩٧٣م)
بلاد ظلت على ولائها للأدارسة
بلاد الخلافة الأموية الأندلسية وما استولت عليه من مواقع فى المغرب الأقصى
بلاد دخلت فى ولاء الخلافة الأموية الأندلسية
بلاد الخلافة الفاطمية
حدود البلاد التى امتدت إليها التبعية الفاطمية
بلاد دخلت فى ولاء الفاطميين
بلاد متنازع عليها بين الفاطميين (وأوليائهم) والأمويين (وأوليائهم)
بلاد دولة الروم (البيزنطية)
بلاد غير محددة التبعية
إتجاهات النشاط البحرى الفاطمى فى البحر المتوسط
إتجاهات النشاط البحرى للأمويين الأندلسيين
مقياس الرسم ١:١٠٥٠٠٠٠٠
الأندلس
قرطبة
غرناطة
أشبيلية
مالقة
المرية
قرطاجنة
بجاية
بونة
تونس
صقلية
اليونان
دولة الروم
بحر الروم
المحيط الأطلسى
المغرب الأقصى
المغرب الأوسط
الأغواط
فاس
تلمسان
وهران
تاهرت
مليلة
آنفا
آسفى
تزنيت
تافللت
سجلماسة
فجيج
غرداية
توجروت
غدامس
وارگلا
ودان
غريان
مصراتة
طرابلس
قابس
صفاقس
المهدية
سوسة
طبرق
برنيق (بنغازى)
سرت
خليج سرت
أجدابية
أوجلة
واحة جالو
واحة الكفرة
الجوف
الغطرون
غات
فزان
دهان أوبارى
سبها
زويلة
جرمة
أوبارى
مرزق
كاوار
وادى
تمو